المورد

مجلة تُراثيّة نصف سَنَويّة مُحكمَة

تصدرُها وزارةُ الثقافة والاعلام ـ دائرة الشؤون الثقافية العامة ـ جمهورية العراق

المجلد الحادي والعشرون ـ العدد الثاني ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م

الأعشاب الطبية في التراث العربي

WWW.ATTAWEEL.COM

عدد خاص

هذا العدد المتميز معقود
كالمألـــوف في مضامـين
المورد على الافتتاحية
والدراسات والنصـــوص
المحققـــة والأثبـــات
الفهرسية التي تخـــدم
الصحة العراقية في ظرفنا
الحصاري المأزوم .

العلائي المغربي وكتابه المنجح

بقلم
الدكتور محمود الحاج قاسم محمد
الموصل ـ العراق

العلائي المغربي :

هو ابو سعيد ابراهيم بن ابي سعيد المغربي المعروف بالعلائي . لقد أغفل كتّاب السير والتراجم ذكر تفاصيل حياته ، لذا لا نعرف بالتحديد تاريخ ولادته أو وفاته ، فقد تضاربت الآراء في ذلك .

يقول الاستاذ عبدالعزيز بن عبدالله ان عصر حياته مجهول[1] ويذكر الاستاذ سالم عبدالرزاق انه من رجالات القرن الرابع الهجري[2] دون ذكر مصدره في ذلك .

مؤلفاته

يذكر الدكتور اكمل الدين احسان اوغلو[3] ان للعلائي اربعة كتب هي :

أ ـ البدايات ـ منه نسخة خطية في خزانة شهيد علي برقم ٢/٢١١٢ باستنبول كتبت في القرن العاشر .

٢ ـ كنز الحكمة المسمى بالالواح ـ منه نسخة خطية في مكتبة ايا صوفيا باستنبول برقم ٢/٣٦٩٩ . ونسخة اخرى في مكتبة بغدادلي وهبي في استنبول برقم ٣/١٤١٠ كتبت سنة ١٣٠٤هـ .

٣ ـ تقويم الادوية المفردة ـ منه ثلاث نسخ مخطوطة في استنبول .

٤ ـ الفتح (المبهج) في الطب والتداوي من صنوف الامراض والشكاوى . منه نسختان مخطوطتان في استنبول.

وهذان الكتابان هما عنوانان لهذا الكتاب الذي نبحث عنه كما سنبين ذلك فيما بعد .

كتاب تقويم الادوية او (المنجح في التداوي من صنوف الامراض والشكاوي)

توثيق الكتاب

تضاربت الآراء ايضاً حول نسبة الكتاب كما جاءت تسمياته في نسخه المتعددة متباينة نذكرها جميعاً مع تبيان الصحيح من الخطأ .

١ ـ مفردات ابن ماسويه

جاءت هذه التسمية في نسخة مكتبة الحرم المكي الشريف حيث ذكر في صفحة مضافة من قبل قسم المخطوطات في القلم الذي اهدي لي من قبل المكتبة[4] .

اسم المخطوط ـ مفردات ابن ماسويه[5] .

المؤلف ـ ابن ماسويه

وهذا لاشك غير صحيح لأنه لم يذكر احد من مدوني سيرة ابن ماسويه هذا الكتاب بين قائمة مؤلفاته كما اننا لم نجد في المخطوطة اشارة واضحة تدلل على صحة نسبة هذا الكتاب لابن ماسويه .

٣ ـ تقويم الادوية فيما اشتهر من الاعشاب والعقاقير والادوية .

المؤلف ـ يوحنا بن بختيشوع[٦] .

يذكر الاستاذ العربي الخطابي بانه هناك ست نسخ خطية من الكتاب في الخزانة الملكية في الرباط . وان خمسا منها جاءت بهذا الاسم ومنسوبة ليوحنا بن بختيشوع . وقال ايضا وقد نسب هذا الكتاب لابراهيم بن ابي سعيد المغربي العلائي باسم تقويم الادوية[٧] . كما ويذكر ان النسخة السادسة غير مكتوب فيها انها ليوحنا بن بختيشوع بل مكتوب فيها انها للعلائي المغربي .

ولم يكن الدكتور سامي حمارنة دقيقاً حينما اعتمد على ما جاء خطا في هذه النسخ الخطية الموجودة في الخزانة الملكية في الرباط ونسب الكتاب لابن بختيشوع في كتابه (تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين)[٨] دون تمحيص ومقارنة مع النسخ الاخرى المتواجدة في مكتبات مختلفة وحتى بالنسبة لنسخ الرباط هذه فانه يبدو ان الامر يدعو للشك في اسم يوحنا بن بختيشوع فقد اضيف من قبل ناسخ آخر غير ناسخ المخطوطة .

ومما يؤيد ما ذهبنا اليه ما ذكره الدكتور خالد الحديدي في رسالة خاصة حيث يقول :

« وتوجد منه نسخة بالرباط واوله (ان اول ما افتتح به الخطاب واجمل ما ابتدئ به الكتاب) وقد جاء باولها (بخط مختلف) من تاليف يوحنا بن بختيشوع وهذا خطا . وتوجد منه نسخة اخرى بالرباط ايضاً منسوبة الى ابن بختيشوع ولعل ذلك نقلا عن المخطوطة الاولى التي اشرنا اليها » .

٣ ـ تقويم الادوية ليوحنا بن بختيشوع وقد نسبها لأبي عبدالله محمد بن حنين .

جاءت هذه التسمية في إحدى النسخ الخطية في الخزانة الملكية بالرباط[٩] وهذه التسمية ونسبتها الى أبي عبدالله محمد بن حنين تفتقر الى الحقيقة لأن النسخ الاخرى تبين خلاف ذلك .

٤ ـ تقويم الادوية المفردة او الفتح في التداوي لجميع الامراض والشكاوي لابراهيم بن سعيد الطبيب المغربي العلائي .

وصاحب هذا الراي هو حاجي خليفة ، ذكر ذلك في كتابه الشهير كشف الظنون[١٠] . ونقل ذلك عنه عبدالعزيز بن عبدالله في كتابه الطب والاطباء بالمغرب[١١] .

وذكر الدكتور اكمل الدين احسان اوغلو[١٢] من بين كتب العلائي المغربي كتابان الاول باسم « تقويم الادوية » منه اربع نسخ في مكتبات استنبول والثاني باسم « الفتح (المبوج) في الطب والتداوي من صنوف الامراض والشكاوي » منه نسختان في استنبول جاء الاختلاف هنا في اسم الكتاب حيث ذكر اسمه (الفتح او المبهج) وهي ولا شك من اخطاء النساخ وتحريف لكلمة (المنجح) .

٥ ـ المنجح في الادوية المفردة

تاليف ابي سعيد بن ابراهيم المغربي

جاءت هذه التسمية في نسخة مكتبة الاوقاف بالموصل[١٣] . كان الخطا في هذه النسخة في اسم المؤلف حيث سماه الناسخ (ابي بن سعيد بن ابراهيم المغربي) خطا والصحيح (ابي سعيد ابراهيم المغربي) .

٦ ـ المنجح في الطب والتداوي من صنوف الامراض والشكاوي

تاليف ـ ابي بن سعيد بن ابراهيم المغربي العلائي .

جاءت هذه التسمية عند بروكلمان[١٤] . كان الخطا هنا في اسم المؤلف كما ذكرنا في الفقرة السابقة .

٧ ـ المنجح في التداوي من صنوف الامراض والشكاوي

ترتيب ـ ابي (ابي سعيد) بن ابراهيم المغربي

جاءت هذه التسمية في نسخة المكتبة العامة بالرباط[١٥]

٨ ـ المنجح في الطب والتداوي من صنوف الامراض والشكاوي .

المؤلف ـ ابو سعيد بن ابراهيم المغربي المتطب المعروف بالعلائي .

جاءت هذه التسمية في نسختين من المخطوطة مكتبة الدكتور سامي حداد[١٦] . والاختلاف هنا ايضا كان في التقديم والتاخير لاسم المؤلف واسم ابيه .

٩ ـ المنجح في التداوي من صنوف الامراض والشكاوي

تاليف ابي سعيد ابراهيم المغربي

جاءت هذه التسمية في نسخة جستر بتي[١٧] دبلن . وهذه التسمية جاءت صحيحة .

١٠ ـ المنجح في التداوي من صنوف الامراض والشكاوي

المؤلف ـ ابو سعيد بن ابراهيم المغربي المتطب العلاوي .

جاءت هذه التسمية في نسخة المكتبة الطبية الامريكية ـ (واشنطن) ـ رقم ٢٤٦/مجموعة سومر١ وقد اخطا الناسخ هنا في اسمه وشهرته وذلك واضح لا يستحق المناقشة .

١١ ـ المنجح في الادوية المفردة ويسمى ايضاً (المنجح التداوي من صنوف الامراض والشكاوي)

المؤلف ـ ابو سعيد بن إبراهيم المغربي المتطبب المعروف بـ (جاءت شهرته في بداية الكتاب العلاوي نهاية المقدمة ونهاية الكتاب العلاوي) .

جاءت هذه التسمية في نسخة المكتبة الوطنية للطب بتيسدا ـ ميريلاند ـ امريكا ـ رقم (١٦٧٤) . وقد اخطا الناسخ هنا في شهرته .

١٢ ـ الادوية المنجحة

المؤلف ـ ابراهيم بن ابي سعيد الطبيب المعروف بالملاني .

جاءت هذه التسمية في نسخة مكتبة جامعة ابسالا بالسويد ـ رقم ٧ (٧١٩/٣٦٤)(١٩) .

والان وبعد استعراض مختلف هذه التسميات نقول مهما يكن من امر فان موضوع الكتاب واضح وما تحتويه النسخ الخطية كلها واحد وان اوهام او اخطاء النساخ في اعتقادنا كانت وراء هذا الاختلاف والتخبط في التسميات . لذا جاء اختيارنا للعنوان « تقويم الادوية او المنجع في التداوي من صنوف الامراض والشكاوي » والمؤلف هو « ابو سعيد ابراهيم بن ابي سعيد الملاني المغربي » اختياراً اقرب ما يكون الى الصواب ، فقد جاءت التسمية هذه في اقدم نسخة من مخطوطة الكتاب (وهي نسخة تور عثمانية (سنة ٧٧٣ هـ)) ، كما وان الاسم متقارب في اغلبها (وليس جميعها) ، واخيراً لأن التسمية التي اخترناها هي المرجحة في اغلب فهارس المخطوطات .

نسخ الكتاب الخطية

لقد احصينا اثنتين وعشرين نسخة مخطوطة منه موزعة في مكتبات مختلفة في العالم . وقد استطعنا الحصول على اربع نسخ منها اعتمدنا عليها في تحقيق الكتاب (الذي انتهينا منه) ، وكذلك في اعداد هذه الدراسة ، وهذه النسخ هي :

١ ـ نسخة مكتبة الحرم المكي الشريف :

رقمها/٣٥٩٥ ـ رقم الفلم/٢٨٦٤ . عنوانها : مفردات ابن ماسويه (وهذا خطأ كما ذكرنا) .

تاريخ النسخ/١٢٧٦هـ . الناسخ يوسف بن محمد ابو السعود الحسيني .

عدد الاوراق/١٣٩ . القياس/٢٣×١٨سم .

نوع الخط/خط النسخ مع الجداول . وهي واضحة جيدة النقل ومنسقة تنسيقاً جميلا .

٢ ـ نسخة مكتبة جستر بتي (دبلن ـ ارلندا)

رقمها/٤٦٤٢ . وقد اعتمدنا على صورة مصورة منها في المكتبة المركزية لجامعة الموصل (رقم المايكروفلم ٢٣٠) .

عنوانها /المنجح في التداوي من صنوف الامراض والشكاوي .

المؤلف/ابي سعيد بن ابراهيم المغربي .

تاريخ النسخ/مجهول (وربما هو في القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي) .

عدد الصفحات/٢٦١ صفحة .

نوع الخط/خط النسخ مع الجداول وهي واضحة جيدة النقل في اغلب الصفحات .

٣ ـ نسخة مكتبة الاوقاف العامة بالموصل

رقم المخطوطة ص/١٧/٢٠ خزانة المدرسة الاحمدية

عنوانها/المنجح في التداوي من صنوف الامراض والشكاوي .

المؤلف/ابي بن سعيد بن ابراهيم المغربي .

تاريخ النسخ/١١٢٥هـ .

المقياس/٢٢ـ١٦ . عدد الاوراق/١٢٩ ورقة .

نوع الخط/خط النسخ مع الجداول .

الناسخ/مجهول .

٤ ـ نسخة المكتبة الوطنية للطب/قسم الطب ـ ميريلاند ـ امريكا /

رقمها/١٦٧٤ . وقد اعتمدنا على صورة مصورة عنها في المكتبة المركزية ـ جامعة الموصل برقم المايكروفلم (٥٠٦) .

عنوانها/المنجح في الادوية المفردة ويسمى ايضاً المنجح في التداوي من صنوف الامراض والشكاوي .

المؤلف/ابي سعيد بن ابراهيم المغربي المتطبب المعروف بالسلاوي (هكذا جاءت التسمية في بداية الكتاب ، بينما في مقدمة ونهاية الكتاب جاءت شهرته باسم ـ الملاوي) .

تاريخ النسخ مجهول .

عدد الصفحات/٢٢٤ صفحة .

نوع الخط/خط النسخ مع الجداول وهي واضحة جيدة النقل (عدا بعض الصفحات) .

التقييم العلمي للكتاب

لقد بدأ المغربي في مقدمته القصيرة يخطط لكتابه تخطيطاً علمياً دقيقاً ، مبيناً الغرض منه والبواعث التي دفعته الى تاليفه وتراه في عبارات دقيقة موجزة يحدد لكتابه اهدافاً تبتها في مقدمته . ولكنه يصدر أولا هذه الاهداف بالتحميدة التي اعتاد علماؤنا الاوائل ان يبدأوا مقدمات كتبهم بها وتراهم دائماً يشيرون في أثنائها الى موضوعات كتبهم . يقول المغربي « اولى ما افتتح به الخطاب .. التعظيم لاسم الله والشكر لآلائه ، نحمده على نعمائه ... وصلى الله على سيدنا محمد ... وبعد فانه سنّة أهل العلم جارية باتحاف الملوك والاكابر بذخائر علومهم ونفائس معارفهم حرصاً منهم على استخراج ما عاد بالنفع عليهم فاردت ان اسلك سننهم وارتب كتاباً طبياً واسيق الى ترتيبه واجعله طريقاً للتقرب الى خدمة مولانا الآمر ... ابو شجاع ذو القرنين ابن عين الدولة ابن الامير حجازي ...»(٢٠) . ثم يحرص المغربي على ان يسجل في مقدمة الكتاب على انه تناول مسالة الادوية المفردة بشكل جديد يختلف عن سابقيه

وذلك بانه جمع بين ذكر الادوية المفردة وقواها ومنافعها من جهة وبين علاج الامراض بالادوية المفردة من جهة اخرى . يقول في مقدمة الكتاب «لما كانت الادوية والاغذية مادة لحفظ صحة الانسان ، وهو لمداواة اسقام الابدان ، كان من الواجب على الطبيب معرفة ماهيتها ومزاجها وقواها ومنافعها ... ثم انه لما كانت طبائع الامراض والاشخاص والاعضاء مختلفة لم تتم المداواة لكل مريض ولكل عضو بدواء واحد معلوم اذا كان في كل دواء من الادوية قوى كثيرة مختلفة لا توافق المرض الواحد من جميع جهاته فيحتاج الطبيب لذلك ان يعرف ادوية كثيرة مختلفة المزاج والقوة نافعة من مرض واحد ليختار منها الاليق لغرضه ... ولم يكن احد من المصنفين جمع هذين المعنيين في كتاب واحد ، بل منهم من ذكر الادوية المفردة وقواها ومنافعها فقط ومنهم من ذكر علاج الامراض بالادوية المفردة فقط وهذا المعنى هو هذا بعينه وانما يخالفه في الترتيب ، إذ كان في هذا ذكر دواء واحد ينفع من امراض كثيرة ، وفي هذا ذكر ادوية كثيرة تنفع من مرض واحد . فاردت ان ارتب كتابا واحدا مختصرا جامعا يتضمن المعنيين مما اطلب فيه تسبهيل مستصعب وتيسير مطلب »(٢١) .

والدارس للكتاب باكمله يخرج بنتائج عديدة هي :

اولا ـ ملاحظات حول اسلوبه في التاليف

١ـ لا نجد في الكتاب اشارات الى مصادره في تاليف الكتاب كما اننا لا نجد ذكرا لأسماء من نقل عنهم سوى ابقراط مرة واحدة ص٥ . ومرتين ذكر فيهما جالينوس (ص١٨ ، ٧٤) وقد اضرب عن الاشارة الى ذلك عمدا من باب الايجاز الذي توخاه . فبعد ان يستخلص الرأي المناسب ، الذي يعتبره افضل شيء بعد اطلاعه الشامل على كل الآراء في موضوعه ، يثبت ما يراه انسب للفائدة الطبية مجملا إياها في صياغة موجزة .

يقول في مقدمته للكتاب « وذكرت من الادوية اشهرها واعرفها واهملت ذكر ادوية لا نقف منها إلا على اسم فقط .. ولم اتعرض لذكر شيء من قوى الاغذية إلا ما كان فيها من قوى دوائية ... ولا ايضا لذكر الادوية السمّية إلا ما كان فيها منفعة من مرض . ولم اذكر اسماء الرجال لئلا يطول الكتاب بذكرهم مع قلة فائدة إذ لم اذكر شيئا من ذلك إلا عن افضلهم واشهرهم(٢٢) .

وان الفائدة التي توخاها من كل ذلك هو وضع كتاب صغير الحجم شامل في مضمونه في متناول الطبيب الممارس وطالب الطب على حد سواء بدل اضاعة جهدهم في مسائل قليلة الفائدة وبذلك جاء كتابه مطابقا للمؤلفات الحديثة التي يطلق عليها اليوم

Hand Book of Pharmacology

٢ـ لقد اتصف بالدقة العلمية في تنظيم الكتاب واتبع اسلوبا علميا في ذكر الاسم المشهور للدواء ثم وضع في آخر الكتاب جداول ذكر فيها من الادوية ما له اسمين أو ثلاثة وحسب الحروف الابجدية . وهدفه من ذلك تامين سهولة الرجوع الى الدواء في الكتاب ويشابه ذلك ما نجده في الفهارس الحديثة للكتب .

كما يدلنا هذا العمل على فكرة هامة وهي وجود عدة تسميات للدواء الواحد في ذلك الوقت ، وربما كان تعدد الترجمات في الاقطار المختلفة أو عن اللغات المختلفة احد اسباب ذلك التعدد ويشابه هذا ما يحصل في عصرنا الحالي ، حيث توجد عدة مصطلحات للكلمة الاجنبية الواحدة نتيجة تعدد الترجمات والمترجمين . واضافة لما ذكرنا يمكن اعتبار كتابه مرجعا تاريخيا لأسماء العقاقير ومرادفاتها المعروفة في ذلك الزمان البعيد وخطوة اولية الوصول الى خطوة اخرى وهي تصنيف الادوية الحديثة في عائلات دوائية .

٣ ـ لقد اهتم المغربي في كتابه المنجح في التداوي بالأمور الطبية النظرية حيث افرد قسما من الكتاب لذلك ومن ثم توسع في الناحية العلمية . إن هذا الجمع بين الناحية الفكرية والعملية كان ميزة مهمة جعلته كتابا مناسبا لتدريس علم الطب بشكل موجز وكذلك مصدرا لا يستغني عنه القارىء والمثقف العام ، مما جعل نسخة مكتبة جامعة ابسالا ـ السويد ان يكتب مادحا

هذا كتاب لو يباع بوزنه ذهبا لكان البائع المغبون
اما من الخسران اني اخذ ذهبا وتارك جوهرا مكنون

ثانيا ـ مبادىء عامة بالنسبة للادوية

١ ـ قوانين استخراج قوى الادوية بالتجربة

ان النظريات التي استنبطها العرب والمسلمون والقوانين التي وضعوها لاستخراج قوى الأدوية بالتجربة شرحها وبينها حنين بن اسحق العبادي (١٩٤هـ ٨٠٩م/ ٢٦٠هـ=٨٧٣م) في مسائله بالحرف الواحد وهذه بدورها ماخوذة عن مصادر اغريقية إلا انها موضبة بقالب افضل واكمل واكثر دقة .

نجد المغربي هنا قد نظّم ترتيبها لتراعي استخراج قوى الادوية مؤكداً على ان عدداً لا يستهان من الادوية إنما تمت معرفتها ليس بالقصد والتعمد إنما اتفاقا ثم جرت عليها تجارب للتحقق من تاثيراتها ويذكر الطريق التي تم اتفاقا معرفة تاثير الادوية (وقد جاءت لدى كثير من مؤرخي العرب) وهي :

أ ـ كتناول دواء من قبل احد بغير قصد فاسهله أسخنه او نفعه من مرض من الامراض فجرّب وامتحن فوجد كذلك فنسب اليه .

ب ـ وان بعض الادوية عرفت عن طريق المنام والرؤ

ج ـ وان بعض الادوية عرفت من قبل الأنبيـاء في الامـم السابقة .

د ـ وان بعضها عرفت عن طريق الطيور والحيوانات .

٢ ـ الدقة في اختيـار الادوية

نجد في مقدمته للكتاب اشارة واضحة الى دقتـه في اختيار واستعراض الادوية حيث يستخلص الراي المناسب الذي يعتبره افضل شيء بعد الاطلاع الشامل على كـل الآراء في موضوعه ، ويثبت ما يراه انسب للفائدة الطبية مجملا إياها في صياغة موحدة . يقول :

« انا لم اذكر شيئا من ذلك إلا عن افضلهم واشهرهم وذكر الدواء باسمه الأشهر والاعرف في بابه الاليق » .

٣ ـ افعـال الادوية وصفاتها واحوالها

ويقسم ذلك بشكل عام الى :

ا ـ صفات الادوية في ذاتها فهي :

اللطافة ، الكثافة ، السيلان ، الجمود ، اللزوجة ، الهشـة ، الطعوم ، الأرايح .

ب ـ صفاتها بحسب افعالها في الابدان . يذكر هنـا ٥٨ صفة هي :

ملطف ، محلل ، مقطع ، جـال ، غسال ، مخشن ، جاذب ، هاضم ، منضج ، مفتـح ، طارد للرياح ، لاذع ، محمر ، مقرح ، محـرق ، أكال ، معفـن ، مكثف ، مفري ، ملس ، مزلق ، مقبض ، مضيق ، مسـدد ، مصلب ، عاصر ، دافـع ، رادع ، مخـدر ، مقـوي ، مفجج ، قاتـل ، سـم ، ترياق ، بازهر ، ملحـم ، موسخ ، منقي ، منبت اللحم ، داخل ، قاشر ، مسهل ، مقيء ، مدرر للبول ، مدر للدم ، مدر للعرق ، منفـث ، مسقط ، مفتت للحصـاة ، زائد في اللبن ، قاطع اللبن ، عاقل ، حابس للدم ، ماسك للبول ، مولد المني ، قاطـع لـه ، مفتح له .

ثم يمضي بتعريف وشرح كل صفة من هذه الصفات بشكل مفصل .

ثالثا ـ النهج العام في دراسة الادوية والامراض

إذا امعنا النظر في مقدمة الكتاب ، ودققنا في المنهج الذي اختطه المغربي لنفسه وارتضاه دليلا لعملـه رأيناه يلتـزم التزاما دقيقا في تناوله للادوية والامراض المعروفة له جميعا حيث سلك اسلوبا موحدا فدرس (٥٥٠ دواء) على شكل جداول(٣١)ومن خلال نقاط محددة عددها ستة عشر ذكرها في المقدمة مع تفسيره لها وهي :

١ ـ اسماء الأدوية

٢ ـ ماهية الدواء واي شيء هو . هل هو معـروف او مجهول وهل هو حيوان او معدن او نبات وإن كان نبات هل هو حشيش او شجر او زهر او بزر او صمغ او غير ذلك .

٣ ـ نوعه إذ قد يكون الدواء نوعا واحدا وقـد يكـون انواعا كثيرة .

٤ ـ الاختيار إذ كانت انواع الادوية كثيرة منهـا جيـدة ومنهـا رديئة ومنها ما يصلح أن يستعمـل ومنها ما لا يصلح .

٥ ـ مزاج الدواء ومرتبته في درجته من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسـة .

٦ ـ قوة الـدواء وهي القوة الثانية الصادرة عن المـزاج مثل ما يقال دواء ملطف او مفتـح او مقطع ونحو ذلك .

في تخصيصه الحقل الخاص للتحدث عن مزاج الدواء (كل دواء) ومرتبته في درجته من الحرارة والبرودة والرطوبـة واليبوسة . وكذلك تخصيص الحقل السادس للتحـدث عن قوة الدواء يكون قد اقترب الى حد ما من الاصطـلاح الحديث المسمى (التاثيرات الدوائية

Pharmacological effects

) والذي يستعمل لوصف تاثيرات الدواء المختلفة سواء كانت مفيدة عمليا او ليس لها فائدة طبية على اجهزة الجسم ، وفقا لنظرية الاخلاط القديمة والتي كان معمولا بها في تلك الايـام ، فاننا حين نعرف مزاج الدواء نستطيع معرفة آلية عملـه في اخـلاط الجسم وبالتالي تاثيره في اجهزة الجسم ، وحين نعرف مرتبته ودرجتـه فاننا نستطيع معرفة مدى هذا التاثير ، وبذلك يعطـي المغربي بهذه الكلمـات مواصفات محددة للدواء ، وفق المقياس الذي يصنعه حسب نظريات ذلك العهـد ليعرف تاثير الدواء في اجهزة الجسم وشدة هذا التاثير .

٧ ـ منفعته في أعضاء الراس ـ مثل منفعتـه مـن امراض الشعر والدماغ والعصب والوجه والعـين والاذن والفم والاسنان واللسان ونحو ذلك .

٨ـ منفعته في اعضاء الصدر وآلات التنفس مثـل ما يختص منفعته بالقلب والرية والصدر والحلقوم والحجاب والثدي .

٩ ـ منفعته في اعضاء الغذاء وآلات النفض مثل المعدة والكبد والطحال والامعاء والمثانة ونحوها .

١٠ ـ منفعته في جميع البدن فان من الامراض ما لا يختص بعضو واحد من الاعضاء بل يكون شـاملا لجميع البدن كالحميات او خاصا بعضو واحد كالبهق والبرص والبثور والدماميل والخراجات واوجاع المفاصل .

١١ـ كيفية استعماله ، فان من الادوية ما يستعمل مشروبا من داخل ومنها ما يستعمل موضوعا من خـارج ومنها ما يستعمل مطبوخا ومنها ما يستعمل مدقوقا ومنها

ما يستعمل مخرقا ومنها ما يستعمل كما هو .

١٢ـ كمية ما يستعمل منه إذا كانت الادوية مختلفة في القوة والضعف فمنها ما يصلح ان يستعمل منها اليسير ومنها ما يصلح ان يستعمل منها الكثير .

تبرز هنا بشكل واضح النظرية الدوائية لديه حيث يحدد الجرعة الدوائية Dosage لكل علاج .

١٣ـ مضرته ، إذ لا يخلو كل دواء من كيفية وخاصية فيها مضرة ببعض الامزجة او ببعض الابدان او ببعض الاعضاء . إفراده هذا الحقل لهذه النقطة الهامة جدا في علم الادوية الحديث والتي نسميها التاثيرات الجانبية ، يوصلنا ايضا الى فكرة أخرى هامة جدا هي تاثيرات افراط فعل الدواء بسبب اعطائه بشكل زيادة بسيطة Over dosage او بشكل زيادة كبيرة ـ جرعة سمية Toxicity

١٤ـ اصلاحه إذ تدعو الضرورة الى استعمال الدواء للحاجة اليه او لعدم وجود غيره ويستعمل منه حينئذ ما يذهب اذيته . إن فكرة اصلاح الدواء ترد في الكتاب على شكلين :

الاول ـ اصلاح الدواء قبل اعطائه اي إدخال تعديلات على الدواء تزيل اذاه وتبقي فائدته بطرق مختلفة ذكرها كالتدويس والطبخ والدق والسحق والاحراق والغسل وهذه فكرة متطورة تعمل مصانع الادوية اليوم وفقها حيث تهتم دوما الى تطوير الادوية ولازالة تاثيراتها الجانبية مع الحفاظ على فائدتها .

الثاني ـ ان يقطن معه ما يزيل تاثيراته الجانبية او يمنع حصولها ، وهذه فكرة قريبة من فكرة التفاعل بين الادوية والذي يطلق عليه Drug - interaction ولكنها ليست مطابقة لها تماما ، إذ تشمل فقط ازالة الفعل المؤذي دون ان تدخل فيها فكرة التاثير على فعل الدواء العلاجي او يدفع مضرته او يكون قد يستعمل على سبيل ينتفع بما يبطل بنادبته ويذهب اذيته .

١٥ ـ بدله إذا كان مفقودا الدواء في بعض البلدان او في بعض الاوقات وقد يكون غير معروف او غير موجود ما يقوم مقامه وما يستعمل عوضه . ولا بد من الاشارة هنا الى ان فكرة البحث عن ادوية يمكن استعمالها بدل الدواء الاصلي فكرة جديرة بالتقدير . فلكل دواء تاثيرات جانبية وموانع استعمال فبمعرفة بدائل الدواء يمكن حل هاتين المشكلتين عند التعرض لهما .

١٦ ـ علامة لعدد الادوية المذكورة . وقد رتب الادوية حسب الحروف الابجدية وبذلك يسهل على من يريد معرفة خصائص اي دواء ان يفتش عنه حسب الحرف الذي هو فيه فيجده ، كذلك يعثر على العلاج الذي يفيده ذلك المرض ، وهكذا في جميع النقاط المذكورة وباسلوب يعتمد الايجاز الشديد وتركيز المعاني باقل الالفاظ .

ورغم وجود اختلافات في هذه النقاط بين المواد إلا انها بسيطة وثانوية ، وتندرج ضمن هذا المنهج الموحد . إن هذه الطريقة التي اتبعها المغربي هنا لا شك بانها تشكل ركنا هاما من اركان البحث العلمي الحديث ومناهجه ، إذ بهذه الطريقة يصل المطلع على المادة التي يريدها في ايسر زمن وفي غير عناء تماما كما نراه في كتب علم الادوية الطبية الحديثة Medical pharmacology

رابعا ـ الادوية النباتية عند المغربي

إن الادوية النباتية (او التي لها اصل نباتي) تشكل القسم الاكبر من كتاب تقويم الادوية وعددها يزيد قليلا عن (٤٠٠) من مجموع الادوية التي تناولها في الكتاب والتي بلغت (٥٥٠) دواء . وفي مقدمة الكتاب يضع بعض الشروط لكي يضمن صلاحية الدواء النباتي وهي شروط لا زالت تعتبر منطقية وعلمية وهذه هي :

١ـ مدة فاعلية الدواء وعمره :

يؤكد بان مفعول الادوية يتغير بمرور الايام فيقول « كالازهار والحشائش فان قواها تذهب بعد سنة ، واما الثمار والبذور فما كان منها دهنيا فانها كلما عتقت اشتدت مرارتها ، واما ما كان منها غير دهني فربما بقيت في قواها ضعف ما تبقى الازهار واما الحبوب فبقاءها اكثر من بقاء البزور ... قيل ان الدارصيني تبقى نحو من ثلاثين سنة والصموغ ايضا طويلة الاعمار » .

٢ـ زمن التقاط الدواء بالنسبة لعمر النبات :

يذكر بان الاوقات الصالحة للالتقاط « الاصول ـ ينبغي ان تجمع بعد كمال النبات وانتهائه وعند ابتداء سقوط ورقه . والاغصان تجمع عند انتهاء النبات وادراكه . والورق ـ عند تمامه وبقائه على هيئته قبل ان ياخذ في التغيير والاستحالة . والزهر ـ عند تمامه وقبل جفافه وتغيره . والثمار ـ بعد بلوغها ونضجها . والبزور عند امتلائها واخذها بالجفاف . وجملة النبات ينبغي ان يجمع وهو غض عند ادراك بزره والصموغ عند الانعقاد وقبل الجفاف .

٣ـ زمن اجتناء النبات بالنسبة للجو :

يقول في ذلك « واجتناء النبات في صفاء الهوى خير من المجتني في رطوبته وفي حال قرب عهده بالمطر . وينبغي ان تحفظ الحشائش من المفن بان تجفف في الظل .

الهوامش :

(١) ابن عبدالله ـ عبدالعزيز ـ الطب والاطباء بالمغرب\١٩٦٠ ص ٨٥ .

(٢) عبدالرزاق ـ سالم ـ فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة بالموصل ـ مطبعة جامعة الموصل \١٩٧٧ ـ ج٥ ص٢٦٢ .

(٣) احسان اوغلو ـ فهرس مخطوطات الطب ـ المصدر نفسه ص ٢٩٥ .

(٤) حصلت على نسخة الفلم هدية من الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين وادارة مكتبة الحرم المكي الشريف فلهم جميعا القدم شكري وامتناني .

(٥) ابو زكريا يحيى (او يوحنا) بن ماسويه الخوزي . كانت ولادته في جنديسابور سنة ١٦١هـ ـ ٧٧٧م ودرس الطب في بيمارستانها . اقرته بغداد فارتحل اليها. اصبح رئيسا لبيت الحكمة ودائرة الترجمة فيها . وعرف مترجما كما عرف طبيبا . مؤلفاته في الطب تربو على الخمسين . كانت وفاته في سامراء سنة ٢٤٣هـ ـ ٨٥٧م .

(٦) يحيى (او يوحنا) بن بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع بن جورجيوس بن بختيشوع . يقول ابن ابي اصيبعة في عيون الانباء ج٢ ص ١٦٨ : « كان طبيبا متميزا خيرا باللغة اليونانية والسريانية ، ونقل من اليوناني الى السرياني كتبا كثيرة ، وخدم بصناعة الطب الموفق بالله طلحة بن جعفر المتوكل » والموفق هذا هو اخو الخليفة المعتمد المتوفى٢٧٨هـ ـ ٨٩١م . ويذكر الزركلي في الاعلام ج٩ ص٢٧٨ بان وفاة ابن بختيشوع كانت (نحو ٢٩٠هـ) بينما يذكر د. سامي حمارنة في كتابه تاريخ تراث العلوم الطبية ص١٢٨ بان وفاته كانت عام (٣٠٠هـ ـ ٩١٢م) .

(٧) الخطابي ـ محمد العربي ـ فهرس الخزانة الملكية ـ المجلد الثاني ـ الرباط ١٩٨٢ ص ٨٢ـ٨٣ .

(٨) حمارنة ـ د. سامي ـ تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين ـ جامعة اليرموك ١٩٨٦ ـ المجلد الاول ص١٢٨ .

(٩) الخطابي ـ محمد العربي ـ فهارس الخزانة الملكية ـ المجلد الثاني ص٨٦ .

(١٠) حاجي خليفة ـ مصطفى بن عبدالله ـ كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ـ مجلد ١ ص٢٦٧ ، مجلد ٢ ص١٤٣٢

(١١) ابن عبدالله ـ عبدالعزيز ـ الطب والاطباء بالمغرب ص٨٥ .

(١٢) احسان اوغلو ـ اكمل الدين ـ فهرس مخطوطات الطب الاسلامي في مكتبات تركيا ص٢٩٥ .

(١٣) المخطوطة ـ مكتبة الاوقاف بالموصل ـ خزائن مدرسة الاحمدية رقم ٢٠\١٧ .

(١٤) Brok V. 11 P. 1032

(١٥) الخطابي ـ محمد العربي . فهارس الخزانة الملكية ـ مصدر سابق ص١٤٧ .

(١٦) حداد ـ فريد سامي\فهرس المخطوطات الطبية في مكتبة الدكتور سامي حداد ص٦٧ـ٦٨ .

(١٧) الفلم في المكتبة المركزية ـ جامعة الموصل (رقم ٢٢٠) مصور عن نسخة جستر بتي برقم (٦٤٢) .

(١٨) بطيت ـ عدنان\فهرس المخطوطات المصورة ـ الجامعة الاردنية ج٣ ص٢٢ رقم الشريط ٦٧ .

(١٩) فهرس المخطوطات الطبية المصورة ـ الكويت ص١٢ .

(٢٠) مقدمة مخطوطة الكتاب ـ نسخة المكتبة الوطنية ـ ميونخ رقم ١٦٧٤ .

(٢١) المصدر نفسه .
المصدر السابق .

(٢٢) ان اشهر كتب الادوية العربية المؤلفة على شكل جداول والتي وصلتنا وحسب الترتيب الزمني كانت :
١ـ رسالة في قوى الادوية المفردة ـ للكندي
٢ـ تقويم الادوية ـ للمغربي (هذا الكتاب)
٣ـ تقويم الصحة ـ لابن بطلان
٤ـ تقويم الابدان ـ لابن جزلة
٥ ـ المجدولة في الادوية المفردة ـ لابن بكلاوش
٦ ـ تقويم الادوية ـ لحبيش التفليسي